دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلد 22 العدد 01 السنة 2022 ص ص278- 289
ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

قيمة التربية في فلسفة جون ديوي ومكانتها في الفكر الفلسفي العربي المعاصر

The value of education in the philosophy of John Dewey and its place in contemporary Arab philosophical thought

أ.جبلي يسمينة [1]، أ.د. عبد العزيز بن يوسف [2]
[1] جامعة الجزائر 2، yasminadjebli82@gmail.com
[2] جامعة الجزائر2، abdelaziz.benyoucef@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 14 / 04 /2022 تاريخ القبول: 26 / 05 /2022 تاريخ النشر: 2022/06/30

Abstract:

This article revolves around the value of education in the philosophy of "John Dewey" and its place in contemporary Arab thought and how to build"John Dewey" Education according to pragmatic philosophical foundations and his rejection of traditional educational philosophies that believe in stability and Stagnation and its development of an educational philosophy distinguished by change, renewal and continuity, and this is to build new educational landmarks that suit the nature of the individual, society and reality with a distinctive scientific, practical nature..

Keywords: John Dewey; The value of education; Arab philosophical thought .

المؤلف المرسل: جبلي يسمينة
البريد الالكتروني:yasminadjebli82@gmail.com

الملخص:

يدور هذا المقال حول قيمة التربية في فلسفة "جون ديوي" و مكانتها في الفكر العربي المعاصر و كيفية بناء "جون ديوي" التربية وفق أسس فلسفية براغماتية ورفضه للفلسفات التربوية التقليدية التي تؤمن بالثبات والجمود ووضعه لفلسفة تربوية متميزة بالتغيير و التجدد و الاستمرارية و هذا لبناء معالم تربوية جديدة تلائم طبيعة الفرد و المجتمع و الواقع بطابع علمي، عملي مميز.

الكلمات المفتاحية: جون ديوي؛ قيمة التربية؛ الفكر الفلسفي العربي.

1. مقدمة:

شغل موضوع التربية حيزا معتبرا من تفكير الفلاسفة عامة و"جون ديوي" خاصة، وزادت أهميتها أكثر في زمن أصبح من الضروري أن يكون لكل أمة فلسفة تربوية تراعي خصوصيتها ماضيا، حاضرا ومستقبلا، تأخذ بها إلى التقدم وتجعلها قادرة على مجابهة تحديات العصر.

ان الفحص الدقيق لتاريخ الفلسفة يكشف عن حقيقة هامة وهي أن الفلسفة هي روح التربية ومهما كان نوعها فهي تعكس واقعها المعيشي، والتفكير الفلسفي باعتباره تأملا فكريا شاملا يهدف إلى فهم الواقع وتفسيره مثلما يسعى لتغييره بهدف الارتقاء بالطبيعة الإنسانية ولا يكون ذلك إلا برؤية تربوية جادة ودقيقة.

عند متابعة مراحل تاريخ الفكر الفلسفي من الحقبة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة مرورا بالمذاهب الفلسفية الوسطية، الإسلامية والمسيحية وما تلاها من اتجاهات فلسفية حديثة أبرزت بشكل خاص تماهي الأفكار التربوية مع الأوضاع الفكرية والسياسية والعلمية بشكل أساسي، ومن تلك الحقيقة يتضح أن كل نظرة

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

في التربية جزء من النظرية الفلسفية لكل فيلسوف[1].

لقد كانت فلسفة "سارتر" تعكس معاناة الإنسان من القلق والتمزق التي خلفته الحرب العالمية الثانية دعوة لبناء شخصية واعية بحريتها من خلال المواقف التي تعانيها، كذلك الأمر مع الفلسفة البراغماتية التي تعبر عن وضعية الإنسان الأمريكي الذي يعيش دوامة الحضارة المعاصرة وهي روح التربية التقدمية، لهذا انطلق "جون ديوي" من الواقع الأمريكي وحاول تقديم إصلاح أعمق في شتى مجالاته ذلك أن مشروع أي مجتمع الصورة المراد تجسيدها وفيه وبه تستوجب التأكيد على إصلاح بناياته البشرية لضمان استمراريته وتطور أفراده ، ولما أدرك أن ذلك لا يأتي إلا بالتربية راح يبحث لها عن قاعدة فلسفية تخرجها من نمطها التقليدي وتأخذ بها إلى ما يواكب التحول الذي شاهدته ولا زالت تشاهده الحياة مناحيها، ذلك ما يحتمه الواقع الأمريكي. لقد امن "جون ديوي" بما ذهب إليه "جيفرسون" واقتنع بضرورة وضع فلسفة فعالة لبناء منظومة تربوية جديدة تصلح المجتمع وتشع بين أفراده مبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة والحرية، فكان "جون ديوي" في طليعة المربين البراغماتيين المعاصرين واكثرهم إفاضة، فأفكاره التربوية صنعت ثروة حقيقية في عالم التربية والتعليم، فهو الذي يعترف أن التربية أول الأمور التي اتسم بها تفكيره الفلسفي إذ اطلع على الكثير من النظريات التربوية ووقف منها موقف الناقد والمثمن حيث أخذ منها ما يخدم مشروعه متجاوزا عيوبها

[1] - أحمد فؤاد الأهواني، نوابع الفكر الغربي - جون ديوي - دار المعارف، ط 3، القاهرة 1986، ص 15.

بأسلوب أداتي متميز، فصنعت فلسفته التربوية انقلابا عظيما على التربية التقليدية مما جعله موضع بحث واهتمام لدى الكثير من الباحثين[2].

كان "جون ديوي" من اعظم فلاسفة القرن العشرين، فإذا ما أخذنا بأفكاره الفلسفية العامة نجدها حظيت بشرح وتفاسير، "و التربية عنده تتسم بالطابع الاجتماعي، فهي نتاج التفاعل بين الغرائز والميولات الفردية والظروف الاجتماعية الراهنة[1]. وتبدأ بالمشاركة الفعالة للفرد في الشعور الاجتماعي مما يجعل منها عملية حياة وتجديد اجتماعي ، ولهذا كان مفهوم الربية عند "جون ديوي" „ يدور حول الخبرة والتي تنتقل بالتربية من جيل إلى جيل بصورة مستمرة ونامية و بطريقة ديمقراطية و علمية و في هذا يقول "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة" . فهي عملية وحياة تجديد للخبرة تتم في جوّ ديمقراطيّ يضمن تفاعلاً اجتماعياً ويساعد على النموّ المستمر كما أن السبيل إلى التقدم الاجتماعي وأساس الإصلاح.

يتبين لنا بأن الفهم السليم والصحيح للخبرة التربوية يتوقف على فهم الطبيعة البشرية ومختلف الأبعاد الإنسانية والبشرية التي تساهم في تكوينها وتوجيهها، فلقد سعت البراغماتية إلى تقديم تصوّر جديد للإنسان يختلف عن المفاهيم الميتافيزيقية ويقترب من الواقع الطبيعي ويتضمن هذا التصوّر إعترافاً بقدرة الفرد على التغيير ومجابهة الواقع، فهي تنظر إلى الإنسان على أنه مخلوق طبيعي متكامل جسماً، عقلاً وروحاً فهو في المنظور البراغماتي هو إنسان الواقع بكل أبعاده ومؤثراته، يواجه مشكلاته ويسعى إلى تجاوزها بأفضل

[2] - المرجع نفسه ص 22.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الطرق ليضمن الاستقرار الدائم في الحياة ومن هنا حاول "جون ديوي" أن يبعد كل التصورات المثالية عن مفهوم الإنسان والتي ترجع بداياتها إلى العصر اليوناني وتنظر إليه مركبا من جوهرين أساسيين أحدهما مادي والآخر روحي[3].

إن الكائن البشري نتاج التطور وهو يكتسب خبرات تطوره مثل كل الكائنات دون أي تأثير ميتافيزيقي والوسيلة الوحيدة التي تمكن الإنسان من التفاعل في محيطه فيحددها "جون ديوي" في العقل الذي لا يخرج عن نطاق الطبيعة إذ يعتقد أنه من الخطأ اعتبار العقل قوة خفية منفصلة عن التجربة فهو معطى طبيعي.

إن الهدف التربوي هو الغاية المقصودة من رسم الخطط التربوية اللازمة لحياة المجتمع وتقدمه وهي المحددات التي تحدد وتوضح مسار التربية في المجتمع والمرامي التي تسعى التربية لبلوغها من أجل نفع المجتمع و يقول "جون ديوي" في الأهداف: "الهدف في معناه، وجود عمل مرتب منظم، عمل يقوم فيه النظام على الإكمال التدريجي لعملية من العمليات التربوية[1]". فهنا يدل على النتيجة المرغوب تحقيقها ويكون ذلك في مستوى الوعي، فهو بهذا يعتبر الأهداف عملاً من أعمال الذكاء في تشكيلها وخلق الوسائل لتحقيقها، فالهدف الحقيقي نابع من الخبرة المشتركة وباعث للذكاء بعيد عن كل سلطة خارجية أو ضغط من أفكار تقليدية، فالأهداف ترجمة لغايات المجتمع التربوية في شكل

[3] - نفس المرجع ص 500.

كمي أو نوعي[4].

تمثل التربية عند "جون ديوي" الحياة التي تسخَّر فيها كل العوامل على تربية الطفل وتسمح له بالإشتراك الجماعي وتجعله قادراً على أن يساهم في المجتمع عن طريق مواهبه وقواه، بما أن المدرسة هي الجزء المصغر لتلك الحياة الاجتماعية يكسب فيها الطفل الخبرة والقيم عن طريق مشاركته في المجتمع، فإن التجديد في المدرسة يهدف الى جعلها صورة للحياة الاجتماعية ولهذا نادى "جون ديوي" بالمدرسة التي تلائم المجتمع والتي أصبحت في ظل التربية الجديدة وتمثل مؤسسة إجتماعية تشبه في واقعيتها وأهميتها حياة الطفل في المنزل أو البيئة المجاورة له أو الفناء الذي يلعب فيه. فالمدرسة عند "جون ديوي" هي خلو من العمل أو فراغ، وهذه الحقيقة لنا بالتغيرات الجذرية التي حدثت، فالتنظيم الجديد في المدرسة لا ينحصر في الجوانب الخارجية رغم أهميتها اليوم، وإنما يكون في تنظيمها باعتبارها مجتمعًا مصغرًا حتى لا تكون منعزلة عن المجتمع.

يجدد لنا "جون ديوي" أنظمة المدارس ويدرجها ضمن ثمانية أقسام ضمن أزمنة مختلفة، ففي العصور الوسطى ظهرت المدارس المختصة بالقانون واللاهوت والجامعات اليوم هي امتداد لتلك المدارس من تلك الحقبة الزمنية بعيدًا عن تقاليد القرون الوسطى في التعلم.

كما كانت روضة الأطفال التي عرفها القرن الثامن عشر عبارة عن إتحاد بين الحضانة التي تقوم على الألعاب التي تجربها الأم مع أولادها. أما القرن

---

[4] - جون ديوي، المدرسة والاجتماع، تعريب/ ديمتري قندلفت، مطبعة المعارف، القاهرة 1928، ص95.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

التلسع عشر فأنتج مدارس فنية ومدارس أخرى لإعداد المعلمين (Normal school) فالأولى جاءت تبعًا للظروف التجارية التي عرفها ذلك القرن في حين كانت الثانية للتمرين المهني والفني والتثقيف العقلي[5].

و أما علاقة المدرسة بالجامعة فتتجلى في نظر "جون ديوي" من خلال ربط الأقسام الدنيا بالعليا فيتم إشراك القسم الأعلى في البحث كما هو الحال في الجامعة، وبهذا أصبحت المدارس تقوم على توثيق الصلة بينهما و بين المجتمع، فيبذل التلاميذ الذين يدرسون التربية الوطنية جهودًا في تحسين ظروف مجتمعهم، فيؤثرون في مجريات الحياة.

لقد تجاوز "جون ديوي" المدرسة التقليدية بتثمينه لمهمة المدرسة التقدمية متجاوزًا في ذلك العيوب التربوية التي أنتجتها المدرسة التقليدية.

إن الحياة الراهنة تقتضي ضرورة التفكير في تجديد المنهج التربوي بحكم تغييرها باستمرار، فالأهداف التربوية تتنوع ولا تقف على جانب واحد في تربية الطفل عكس ما كان الحال عليه في المنهج التقليدي الذي يهتم بالجانب الذهني للمتعلم، ولهذا فالمنهج الجديد يتجاوز التحصيل المعرفي إلى تنمية الجانب الجسمي والوجداني والخلقي والإجتماعي وهو المنهج الذي يهتم بالطفل حتى يستجيب للتعلم من خلال الأنشطة وما تحتويه الموضوعات الدراسية.*إنّ أساس المنهج التربوي الجديد هو الخبرة التي ترتبط بما يكسبه من المواقف المتغيرة التي يواجهها في حياته. فكل ما يمر بخبرة التلميذ هو جزء من المنهج،*

[5] - محروس سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية، ص299

ذلك أنّ الحياة الإجتماعية للطفل هي الأساس لجميع جهوده وبالتالي يجب إضفاء الوعي الاجتماعي على المنهج الدراسي وكذا مراعاة التقدم العلمي[6].

إنّ الخبرة عند "جون ديوي" هي أساس كل تصوّراته الفكرية بما فيها تصوّره للمنهج التربوي الجيّد، فهي دليل على سلامة المنهج وصحته والخبرة التي يقصدها هي الخبرة التفكيرية القائمة على الدقة، فهي لا تقف على الجانب النظري بل تتعدّاه إلى التطبيقي[7].

إنّ التفاعل بين الفكر والواقع هو الذي يحقّق النجاح وهو منطلق لكل فرضية أو فكرة براغماتية وفي هذا يرى "جيمس" أنّ آية الحق النجاح وآية الباطل الإخفاق[8].

و يدعّم "جون ديوي" هذا الموقف مستندًا لمذهبه الذّرائعي إذ يجعل من الفكرة ذريعة لخدمة الحياة القائمة على الانسجام بين الفرد ومحيطه، والفكرة الصائبة في الفلسفة الذّرائعية يكمن معناها في نتائجها العملية، ولهذا تحوّلت وجهة الفكر نحو العمل والمستقبل[9].

لقد ربط "ديوي" الطريقة بالتفكير وجعل لها اتجاهات تمثل أساس الطرق الفكرية الناجعة في معالجة المادة ومن أهمها:

1- استقامة الاتجاه في العمل وسعة الفكر.

2- الانصباب القلبي في العمل والشعور بالمسؤولية.

---

[6] - محمد جديدي "فلسفة الخبرة، جون ديوي" نموذجا ، ص210.
[7] - محمد جديدي ، المرجع السابق، ص210.
[8] - يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة، د.ط. القاهرة، 1993، ص 135.
[9] - ويل ديورانت ، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي /تر / فتح الله محمد المشعشع، بيروت 1966 ، ص618.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

تلك هي خصائص الطريقة الجيدة وتقدم ثمارها في النهاية المتمثلة في تنمية الفرد وتوسيع الخبرة وضمان استمراريتها، فأصبحت الطريقة في التربية التقدمية تقترن بالمادة الدّراسية وتغيير منهج الدّراسة تغييرًا عظيمًا وهذا بتنشيط قدرات التّلميذ وإبراز دوافعه الطبيعية وإكسابه المهارات الجديدة وكل هذا يقترن باللّعب والعمل المهني للتقرب من الواقع والبيئة.

و هنا يتجلى التدريس النشيط حيث لقيت طريقة النشاط في التربية البراغماتية رواجًا كبيرًا من الكثير من مدارس الولايات المتحدة الأمريكية كمدارس شيكاغو، ونظر إليها الكثير من المربيين على أنها تضمن نجاح عملية التفاعل بين الفرد وموضوعاته الدّراسية وهي التي تحقق النمو في الفرد وتساهم في تطوره لأنها تثير كل قواه.

إن النشاط يؤدي إلى تحرير قدرات المتعلم وتفعيل مواهبه واستغلالها بما يسمح بالإبداع والمربي هنا يقف موقف المتمعّن والمدبّر لتلك المواهب والاستجابات ويعمل على تنظيمها إلى الطريق الصحيح[10].

يطمح "جون ديوي" إلى تعليم الطفل وتقدير قواه ومواهبه حتى يتسنّى له اختيار الأنشطة التي تناسبه وتكون طريقة العمل بصورة تتضمّن المواد الدّراسية، فإذا أخذت طابع اللّعب والتسلية في بدايات التعلم فإنها تصبح مشروعًا، فحين تنمو قوى المتعلم الذهنية وتزداد خبرته يكتسب القدرة على مواجهة المشكلات في حياته المدرسية والاجتماعية وتصبح بذلك طريقة

[10] - محروس سيد مرسي : التربية والطبعة الإنسانية، ص134.

التدريس هي طريقة العمل التي توجهه الأهداف، حيث تفعل الخبرة التفكيرية فعلها[11].

إنّ التربية عند "جون ديوي" تهدف إلى النمو وترى أنّ تحقيقه يقتضي خلق التفاعل بين المتعلم وبيئته من خلال ما يقدم له ضمن الموضوعات والأنشطة التربوية، وحتى نبرز الدور الذي تتمتع به التربية التقدمية يمكن نعرض تلك الطريقة المتمثلة في "طريقة المشروع" والتي تعد ملامح الفكر التربوي الجديد الذي وضعه "جون ديوي" فهو الذي أبرز أفكار هذه الطريقة ورسم قواعده دون أن يشير إليها كطريقة ومنهج تربوي مميّز فكانت بذلك إحدى أهم الطرق التربوية التقدمية التي أنتجتها فلسفة "ديوي" التربوية[12].

لقد أكّد لنا "جون ديوي" أنّ أفضل الطرق في تربية التّلاميذ هي التي تنطلق من إهتماماتهم وتثير فعاليتهم ويكون التّلميذ في موقف قرب من الموضوع المراد تعلّمه.

وما يؤكد على اعتناء المدارس الجديدة بطريقة المشروع وبعث التعلم بالعمل والأنشطة هو حرصها على توفير الإمكانيات اللاّزمة التي تسمح بنجاح الطرق التعلّمية الجديدة.

إنّ تلك المدرسة التي يشيد بها "ديوي" استطاعت بالفعل أن تميّز عن بقيّة المؤسسات التربوية السابقة.

في آواخر القرن التاسع عشر حدثت حركات إصلاحية في الوطن العربي، بدأت مصر نهضتها التربوية بإنشاء مدارس تخرّج منها مفكرون بارزون في مجال

---

[11] - المرجع نفسه، ص165.

[12] - جون ديوي وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل ص301.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الفلسفة والسياسة منهم "رفاعة الطهطاوي" غير أنّ وقع الاستعمار على العالم العربي كان قويًا وبليغًا، إذ خلق الكثير من الجهل والانحطاط وكلّف المجتمعات العربية جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً لسد الاحتياجات الرئيسية في التربية والتي تتطلّب ضرورة إعادة النظر في نظم التعليم وأساليبه ومحتوياته للوصول إلى تربية أسرع لبلوغ التطورات التي عرفتها كل المنظومات التربوية الحديثة[13].

كانت معظم الدول العربية في مطلع القرن العشرين مندمجة في معركة النهوض من مخلّفات الاستعمار، كان المجتمع الغربي قد قطع أشواطاً كبيرة في التقدم التربوي وهنا بدأت جهود بعض البلدان العربية تحاول تغيير الواقع التربوي فيها من خلال الاطلاع على ما قدّمته التربية التقدمية من أجل البحث عن فلسفة تربوية ملائمة لتغيرات العصر وتُخرج العالم العربي من قوقعة التخلف إلى عصر التطور والتقدم.

تبينت أن معظم المناهج العربية متقاربة في خطوطها العريضة، حيث تمّ الاتفاق على الكثير من المناهج التربوية المشتركة بين العراق وسوريا والأردن ومصر وعقدت الكثير من المؤتمرات بينهما في إطار الجامعة العربية وكل هذا أطلعهم على التقدم الذي بلغته التر بية الجديدة في مناهجها وطرق تدريسها، من هنا كانت جدِّيات الاهتمام بنتائج التربية البراغماتية من خلال العمل التربوي، بحيث يتم ربط الخطة التربوية بنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية

[13] - عبد الله الدائم، نحو مستقبل الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العر بية (د.ط) بيروت1991، ص233.

والسياسية لكل مجتمع، كما حاولت البلدان العربية بناء سياستها التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص التّعلّمية وأعطت بعضها العناية للتعليم الفنّي والمهني[14] فصدر في لبنان قانون ينص على ذلك سنة 1968 وحدث أيضا في السعودية إنشاء مدارس متوسطة للإعداد الفنّي.

لقد وصلنا إلى رغبة "جون ديوي" في صناعة المجتمع المعاصر الذي يواكب التطورات التي أحدثتها الثورة الصناعية والكشوفات العلمية الجديدة وتبين تميُّز فلسفته التربوية بالتغيُّر والتجدُّد والاستمرارية وجعلها حركة ديناميكية لا يمكنها الوقوف على ثبات.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1- جون ديوي، الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي قنديل، مدرسة الأنجلومصرية، القاهرة 1955.

2- جون ديوي، المدرسة والاجتماع، تعريب ديمتري قندلفت، مطبعة المعارف، القاهرة 1928.

3- جون ديوي وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962.

2- المراجع:

1- أحمد فؤاد الأهواني، نوابع الفكر الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، ط3 بمصر، القاهرة 1963.

2- عبد الله عبد الدايم، نحو فلسفة تربوية، الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991.

3- سعد مرسي أحمد، تطور الفكر في التربية، عالم الكتب، القاهرة ط1.

4- نازلي صلاح وعلد الغني عبود، في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة ط1 ، 1974.

5- عبد الرحمان بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات ط1، الكويت 1975.

6- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1993.

[14] - نازلي صالح وعبد الغني عبود، في التربية المقارنة، ص330.